مجلة

العاصمة

مجلة بحثية سنوية محكّمة

المجلد الحادي عشر، ٢٠١٩ م

معامل التأثير العربي: ٢.٢



ISSN (Print) : 2277-9914 e-ISSN (Online) : 2321-2756



قسم اللغة العربية، كلية الجامعة
ترونتبرم - ٦٩٥٠٣٤، كيرالا، الهند

التعليم الإسلامي وانتشاره في الهند منذ دخول المسلمين فيها حتى القرن التاسع عشر

د/ محمود عالم الصديقي

أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية، جامعة كشمير، سرينغر، الهند

مدخل المقال: دخول نظام التعليم الإسلامي في الهند

دخل نظام التعليم الإسلامي مع دخول الإسلام في الهند. وكانت حلقات الدرس المنعقدة في مساجد من أوائل المعاهد التعليمية التي دخلت في ساحل ماليبار والمناطق الغربية الهندية االمفتوحة من قبل محمد بن قاسم الثقفي في بداية الأمر. ثم دخل نظام التعليم الإسلامي للمدارس في الهند في العهد الغزنوي عن طريق غزنة، ولاهور ودلهي. ثم انتشر في جميع البلاد من مدينة دلهي التي اتخذتها الدولة الغورية مقرا لحكومتها. ثم تتابعتها دول شتى منذ ذلك الحين حتى الثورة الهندية لعام ١٨٥٧م. وخلال هذه المدة الطويلة، قام الملوك المسلمون والأمراء ببناء مساجد ومدارس في عهد حكوماتهم بصورة ملحوظة ثم زودوها بالعلماء والأوقاف لجرايتهم ومعيشتهم حتى انتشر نظام التعليم للمدارس في جميع أنحاء الهند وأطرافها. فمن المعلوم أن التجار العرب كانوا من أوائل المسلمين قد دخلوا في ساحل ماليبار، واستوطنوا فيها وبنوا بها مساجد حيث يعبد الله وتدرس العلوم الإسلامية على حسب التقاليد الإسلامية. فكانت المساجد في الهند مكانا للعبادة ومركزا للتعليم في البداية، كما كان الحال في القرون الأولى من تاريخ الإسلام في الحجاز والشام ومصر([1]). وقد أشار إلى أوائل مساجد الإسلام بنيت في ساحل ماليبار وما جاورها من المناطق الغربية الجنوبية المؤرخ الكبير تارا تشاند في كتابه *Influence of Islam on Indian culture*([2]).

قد قام أوائل الأمراء المسلمين بتشييد مساجد وزينوها بالعلماء الذين قاموا بمهمة التدريس فيها ونشروا رسالة الإسلام. فيقال إن محمد بن قاسم الثقفي بعدما فتح الدبيل أي مدينة كراتشي حاليا، عمّرها بنحو أربعة آلاف من المسلمين العرب. ثم قام ببناء مسجد جامع. وبعد ذلك بنى مساجد في ملتان والمدن المفتوحة. وفي هذه المساجد تنعقد حلقات الدرس حول مختلف العلوم الإسلامية. وكان يدرس في هذه الحلقات العلماء الذين يغادرون بلاد العرب ويقيمون في بلاد اعتنقت بالإسلام حديثا ليقوموا بخدمة الإسلام خلال نشر التعليمات الإسلامية. ففي هذا العهد جاء في الهند الشيخ أبو حفص أبوبكر ربيع بن الصبيح من البصرة، وأقام في السند وقام بمهمة التدريس فيها. وكان من تابعي التابعين وقد تلقى تعليمه من الحسن البصري، فكان من أخص تلاميذه وحامل علمه في الهند. وكان أوائل المصنفين في الإسلام أيضا([3]).وكذلك أن محمد يعقوب الثقفي جاء الهند في العهد الأموي وتقلد منصب القضاة في منطقة "الرور". واتخذ بها حلقة للتدريس بعد أن قام ببناء مسجد بها.

---

[1] الندوي، مُحَمَّد واضح رشيد، حركة التعليم الإسلامي في الهند وتطور المنهج، المجمع الإسلامي، العلمي، لكناؤ، ص ٤٦

[2] Chand, Tara, Influence of Islam on Indian culture, Allahabad, 1963, see from p29 to p-48

[3] F. E. Kea, Indian Education in ancient and later time, London, Oxford University press, 1938, p-193

فانتشر نظام تعليم الكتاتيب وحلقات المساجد في أجزاء الهند الجنوبية والغربية، واستمر هذا النظام للتعليم الإسلامي منذ دخول الإسلام فيها حتى القرن الحادي عشر الذي نشأ فيه نظام المدارس في البلدان الإسلامية.

نشوء المدارس وانتشارها في المناطق الهندية

ففي القرن الحادي عشر قد شاهدت الهند نشوء المدارس وانتشارها في مناطقها الخاضعة للدولة الغزنوية أيضا. فيقال إن محمود بن السبكتكين شجع الحركة العلمية والأدبية تشجيعا عظيما، وزين مملكته بالعلماء والأدباء، وقام بتشييد مساجد ومدارس في المدن المفتوحة، ثم عمرها بطلبة العلم والمعلمين الوافدين من البلدان العربية. ومن أشهر هذه المساجد المسجد الذي بناه في عاصمة دولتها "غزنة" والذي اشتهر بإسم "عروس الفلك" لأجل جماله. وأضيف إلى هذا المسجد "مدرسة الفيحاء" التي كانت تشتمل على مكتبة كبيرة كانت فيها كتب نادرة. وأوقف لهذه المدرسة أراضي كبيرة لجراية طلبة العلم والعلماء ومعيشتهم([١]).

بنى السلطان محمود الغزنوي أول مدرسة في الدولة الغزنوية وأوقف لها الأراضي الكبيرة، وقد حذا حذوه الأمراء في البلاط في بناء المساجد وتشييد المدارس. فبنى أخو السلطان محمود مدرسة في نيسابور أيام حكمه، وكما بنى الأمير نصر بن السبكتكين مدرسة في نيسابور([٢]). وخلف السلطان محمود الغزنوي ابنه الثاني شهاب الدين مسعود الذي كان مولعا بالعلم فشجع العلم والعلماء. فكتب العلماء كتبا ونالوا من السلطان جوائز. فكتب القاضي أبو محمد ناصح "الفقه المسعودي" في الفقه الحنفي، وكتب أبو الريحان الخوارزمي "القانون المسعودي". كذلك أنه أنشأ عددا كبيرا من المساجد والمدارس في مناطق الدولة الغزنوية وأطرافها لا يمكن إحصاءها على حسب قول المؤرخ قاسم فرسته. ثم زودهذه المدارس بالعلماء الكبار وعباقرة المؤلفين.

وفي زمن السلطان إبراهيم الغزنوي (١٠٥٩م –١٠٩٩م) شاهدت مدينة بغداد ظهور نظام التعليم الإسلامي للمدارس في يد الوزير السلجوقي نظام الملك الذي أكثر من بناء مدارس في بغداد وأصفهان ونيسابور. ثم حذا حذوه حكام مسلمون في البلدان الإسلامية الأخرى في بناء المدارس. فبنوا مدارس على خط المدارس النظامية لوزير السلجوقي. فانتشر نظام التعليم للمدارس في جميع البلدان الإسلامية بسرعة فائقة([٣]). وتأثر السلطان إبراهيم الغوري بهذا النظام التعليمي للمدارس النظامية البغدادية فأكثر من إنشاء مدارس جديدة على خط المدارس النظامية. واقتدى به خلفه من الحكام الغزنويين في بناء المدارس والمساجد حتى انتشرت قناة المدارس في الدولة الغزنوية على حسب قول صاحب تاريخ فرشتة محمد قاسم واشتهرت الدولة الغزنوية بدولة العلم والمعرفة. فانتشرت قناة المدارس في المناطق الهندية التابعة للدولة الغزنوية أيضا([٤])

ومن بين هذه المدن الهندية كانت مدينة لاهور التي تحتل مكانة مرموقة في مجال العلم والتي اتخذها شهاب الدين الغوري عاصمة لدولتها بعد أن قضى على الدولة الغزنوية وأقام على أنقاضها الدولة الغورية. فتأسست بها مساجد ومدارس على خط المدارس النظامية للوزير السلجوقي. وعندما نقل قطب الدين أيبك عاصمة بلاده من لاهور إلى دلهي فدخل التعليم الإسلامي في مدينة دلهي، وانتشر منها في جميع البلاد. فدخلت المدارس عن طريق غزنة ولاهور في دلهي ثم انتشرت منها في جميع أنحاء البلاد. كما يقول الدكتور مقبول أحمد: إن النظام

١ فرشته، محمد قاسم تاريخ فرشته، الترجمة الأردوية لعبد الحي، غلام علي ايند اسينس، لاهور، ص ٩٩

٢ المقريزي، تقي الدين، خطط المقريزي أو المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، دار الصادر،بيروت، س ط، غيرمذكرة،ج ٣، ص ٣١٤،

٣ نفس المصدر،ج ٣، ص ٣١٤،

٤ فرشته، محمد قاسم ، تاريخ فرشته، الترجمة الأردوية لعبد الحي، غلام علي ايند اسينس، لاهور، ص ٩٩

التعليمي الإسلامي للمدارس قد دخلت في الهند عن طريق غزنة ولاهور ثم دلهي. ثم انتشرت منها في جميع المناطق الهندية من آغرة، أجمير ولكناؤ وغيرها. ثم تتابعت الدول المسلمة من المملوكية والخلجية والتغلقية واللودهية والمغولية في إنشاء مساجد ومدارس إبان حكمها حتى انتهت الدولة المسلمة عام ١٨٥٧م.

التعديلات في المنهج الدراسي عبر العصور

أما المنهج الدراسي المتبع في المدارس الإسلامية الهندية منذ دخول التعليم الإسلامي حتى الثورة الهندية لعام ١٨٥٧م فكان نفس المنهج الدراسي الذي كان يتبع في المدارس في بغداد وغيرها من البلدان الإسلامية. وكان لذلك عدة أسباب: ومنها: أن نظام التعليم الإسلامي قد استورد في الهند من العرب وانتشر في الهند على أيدي العلماء الذين استوطنوا البلاد وقاموا بخدمة التدريس على الطريقة التي كانت سائدة بينهم. وإنهم قاموا بتدريس الكتب التي تدرس في مدارسهم في مختلف العلوم([1]). كما يقول الشيخ سعيد الأعظمي في مقدمة كتاب "حركة التعليم الإسلامي في الهند وتطور المنهج": "لقد كان المنهج التعليمي في الهند خلال العهد الإسلامي في أدواره المتقدمة تابعا إلى حد كبير لما كان عليه في بلاد إسلامية مجاورة مثل خراسان و"ما وراء النهر" وذلك لسهولة الاتصال والاستفادة منها، ثم لورود علماء تلك البلاد وهي خراسان و"ما وراء النهر إلى بلاد الهند بفترات مختلفة"([2]). غير أن المنهج الدراسي قد مر بأربع أدوار من التعديلات اليسيرة على حسب تغير الظروف ومتطلبات الأزمنة منذ وصول التعليم الإسلامي إلى الهند في القرن الثامن أو العاشر حتى الثورة الهندية. وكذلك قد أجريت التعديلات في المنهج الدراسي تحت تأثير تعديلات المنهج التعليمي التي قد طرأت في البلدان الإسلامية من العراق وخراسان و"ماوراء النهر"([3]). فشاهد المنهج التعليمي الهندي أربع تعديلات. وهذه التعديلات تمثل أربعة أدوار.

العصر الأول

يمتد العصر الأول للمنهج الدراسي الهندي من وصول التعليم الإسلامي إلى الهند في القرن السابع الهجري إلى القرن العاشر الهجري. وكان المنهج الدراسي محتويا على علوم آلية من النحو والصرف والبلاغة وأصول الفقه والمنطق وعلى علوم مقصودة بالذات من التفسير والحديث علم الكلام والفقه وشيء من المعقولات أيضا. ويتضح بعد إمعان النظر في هذا المنهج أن علم الفقه الحنفي كان يحتل مكانة مرموقة بين العلوم الأخرى في هذا الطور الزمني، وأن علماء هذا العصر كانوا يعتبرون كسب المهارة في علم الفقه وأصول الفقه معيارا للفضيلة. وأما علم الحديث فلم يلق في هذه المقررات الدراسية عناية كبيرة من العلماء. بل أنه كان مشتملا على كتاب واحد، وهو "مشارق الأنوار"، وأن العلماء يظنون أن قراءة "مشارق الأنوار" وتعلمه كان كافيا في كسب المهارة في علم الحديث. ومن تيسر لهم من العلماء قراءة "مصابيح السنة" فكان يعد من المحدثين الكبار([4]).

العصر الثاني:

قد شاهد الطور التعليمي الثاني تعديلا خفيفا في المنهج الدراسي في العلوم العقلية (البالية). فيقال إن العالمين الماهرين في العلوم العقلية وهما الشيخ عبد الله والشيخ عزيزالله كانا جاءا من الملتان في الهند في أواخر القرن التاسع. فاستوطن الأول في دلهي والثاني في سنبهل، ثم قاما بترويج العلوم العقلية، وأدخلا في المنهج الدراسي

---

[1] الحسني، عبد الحئ ، هندوستان كا نصاب درس اور اس كي تغيرات:يعني منهج الهند الدراسي و تعديلاته، مكتبة ندوة العماء، لكناؤ، ص ٣

[2] مُحَمَّد واضح رشيد الحسني الندوي،" حركة التعليم الإسلامي في الهند وتطور المنهج، المجمع الإسلامي العلمي، لكناؤ،ص٥

[3] الحسني، عبد الحئ ، هندوستان كا نصاب درس اور اس كي تغيرات، مكتبة ندوة العماء، لكناؤ، ص ٣

[4] عبد الحي الحسني، الثقافة الإسلامية في الهند، ص ١٢

بعض الكتب المعقولة. فأدخلا "المطالع والمواقف" لعضد الدين الأيجي، ومفتاح العلوم للسكاكي في دروس العلماء. فتلقاها الناس بالقبول، وصارت متداولة بين الناس منذ ذلك الحين. ولم تكن قبل ذلك علوم عقلية في المنهج التعليمي غير "شرح الصحائف" في علم الكلام، وغير "شرح الشمسية" في المنطق. وفي نفس العهد قد أدخل تلاميذ مير السيد الشريف "شرح المطالع" و"شرح المواقف" وتلاميذ التفتاني "مطولاتهما و"مختصراتهما" و"التلويح" و"شرح العقائد للنسفي في المنهج الدراسي. كما نال "شرح الوقاية" و"شرح الجامي: حظهما في المنهج الدراسي في هذا العهد. ففي هذا العهد كانت الغلبة في المنهج الدراسي لعلم الكلام والمنطق.

العصر الثالث

يمتد هذا العصر الثالث للمنهج الدراسي من القرن الحادي عشر للهجرة إلى القرن الثاني عشر للهجرة. ففي هذا العصر قد نال الحديث رواجا عاما ووجد حظه الوفير في المنهج الدراسي الهندي بعد أن كان ضئيلا منذ وصول الإسلام فيها حتى القرن العاشر. ففي العصر الثاني للمنهج الدراسي قد ظهر الشيخ عبد الحق الدهلوي وحاول في ترويج علم الحديث. غير أن محاولاته لم تثمر كثيرا ولكنه مهد الطريق للمتأخرين أن يقوموا بإدخال هذا العلم في المقررات الدراسية وينشروه بين الهنود نشرا كبيرا. وقد تحقق أمله على أيدي الشاه ولي الله المحدث الدهلوي المتوفى ١١٧٤ للهجرة الذي يمثل هذا العصر الثالث للمنهج الدراسي وأدخل الصحاح الستة في المقررات الدراسية لأول مرة في تاريخ التعليم الهندي. في الحقيقة أن العلوم العقلية كانت لها السيطرة على العلوم الأخرى المندرجة في المنهج الدراسي قبل ظهور الدهلوي وإنه بنفسه قرأ هذه المقررات الدراسية التي غلبت فيها العلوم العقلية. قد سافر الدهلوي إلى الحجاز بعد أن قرأ المقررات الدرسية السائدة في ذلك الحين، حيث قرأ الحديث على الشيخ أبي طاهر المدني عدة سنوات، وأكمل دراساته العليا من علماء الحرمين. ثم رجع إلى الهند بعلم الحديث، ووقف حياته على نشر هذا العلم. وبذل كل ما وسعه من المجهودات في نشر هذا العلم، وأعد منهجا دراسيا جديدا أدخل فيه الصحاح الستة من كتب الحديث حتى نفقت سوق علم الحديث في الهند. وقد حذا حذوه أخلافه وقاموا بنشر علم الحديث بعده في الهند([١]).

العصر الرابع

العصر الرابع للمنهج الدراسي يبتدئ من القرن الثاني عشر للهجرة وينتهي بانتهاء الدولة المغولية المسلمة بعد الثورة الهندية لعام ١٨٥٧م. ويمثل هذا العصر التعليمي عالم من علماء "فرهنغي محل" الشيخ نظام الدين بن قطب الدين السهالوي المتوفى ١١٦١ للهجرة الذي أعد منهجا دراسيا جديدا اشتهر بـ "المنهج الدراسي النظامي ونال قبولا عاما بين عامة الناس والعلماء. ومعظم المدارس الواقعة بـ "شبة القارة الهندية" منذ ذلك الحين حتى الثورة الهندية كانت تتبع هذا المنهج الدراسي الجديد. بل أن المدارس الموجودة في الهند في العصر الحديث أيضا تتبع هذا المنهج التعليمي بعد أن أجريت فيه بعض التعديلات البسيطة على مر العصور. والجدير بالذكر أن الشيخ ملا نظام الدين كان من معاصري ولي الله الدهلوي. فكان المنهج الدراسي مشتملا على نفس الكتب التي كانت داخلة في المقررات الدراسية للدهلوي. غير أن الشيخ نظام الدين قد قام بإدخال بعض التعديلات في المنهج التعليمي وأدخل فيه بعض الكتب الجديدة. فحذف عدة كتب في موضوع التفسير والحديث، وأضاف كتب العلوم الآلية، وركز على الفقه وأصوله. فاكتفى في الحديث بـ"مشكاة المصابيح"، وفي التفسير بـ

---

١ الحسني، عبد الحئ ، هندوستان كا نصاب درس اور اس كي تغيرات، مكتبة ندوة العماء، لكناؤ، ،ص ١٢

"الجلالين"، و"البيضاوي" إلى آخر سورة البقرة، فحذف "المدارك" و"الكشاف"([1]). وكذلك استبدل الكتب القديمة في علم الكلام والفلسفة بالكتب الجديدة. فأدخل في المنهجه الدراسي في المنطق "سلم العلوم" و"رسالة ميرزاهد"و"رسالة ملا جلال" عوضا عن "شرح المطالع"، وفي الفلسفة "الشمس البازغة" وفي علم الكلام "ميرزاهد" و"شرح المواقف" وفي أصول الفقه "نور الأنوار" و"مسلم الثبوت" عوضا عن "الحسامي"([2]).

يعتبر هذا "المنهج الدراسي النظامي" في الهند من أهم المناهج التي شاهدتها المدارس الإسلامية على مر العصور. ولكن عندما نمعن النظر فيه فنتوصل إلى النتيجة أن هذا المنهج يعوز نفس النقائض والعيوب التعليمية التي قد أفرد الكلام فيها ابن خلدون في مقدمته. هذا هو السبب نحن نشاهد الشيخ شبلي النعماني ينقد هذا المنهج الدراسي نقدا لاذعا في مقالاته المندرجة في كتاب "مقالات الشيخ شبلي" في الجلد الثالث، حتى أنه عد هذا المنهج من أكبر أسباب الانحطاط لتعليم المسلمين الهنود. فهذا المنهج يشتمل على الشروحات والمختصرات والكتب الممتزجة بالبحث في علوم شتى. كما أنه يكرس التركيز على العلوم الآلية أكثر من تركيزه على العلوم المقصودة بالذات. كذلك اِنه يتحيز بالمذهب الحنفي في الفقه وبالمذهب الأشعري أو الماتريدي السني في علم الكلام. وكان في كل ذلك أيضا باب المناقشة والحرية وباب الاجتهاد مغلوقا. فما زال التعليم الإسلامي في الهند على هذه الحالة السيئة حتى حدثت التورة الهندية لعام١٨٥٧م، وبها دخل التعليمي الإسلامي في مرحلة جديدة.

استنتاج البحث:

يستنتج من هذه الدراسة أن المنهج الدراسي في الهند كان تابعا للمنهج المتبع في المدارس الواقعة بالبلدان الإسلامية. وكان يتأثر بالتعديلات التي تطرأ فيها على مر العصور، لأن الهند كانت على علاقة وطيدة في التبادل الثقافي ولاسيما أن العلماء العرب قد جاءوا إلى الهند عبر العصور، واستوطنوا فيها وأدخلوا تعديلات في المنهج الدراسي وفقا للتعديلات التى شاهدتها البلدان الإسلامية. فالمنهج الدراسي المتبع في الهند كان يعوزه نفس العيوب التي تعوز المنهجَ المتبع في مدارس البلدان الإسلامية من تيار التقليد في كل فرع من فروع العلم والمعرفة والحظر على حرية الفكر والتفكير وإتخاذ الشروحات والحواشي والمختصرات كمقررات دراسية. هذا هو السبب إن الانتاجات العلمية الإسلامية الهندية تكاد تخلو من الانتجات الابداعية. وما قدمه العلماء الهنود من الانتاجات العلمية الإسلامية كان من قبيل الشروحات والحواشي والمختصرات. وظلوا على هذه الحالة حتى حدثت الثورة الهندية لعام ١٨٥٧. ودخل بها تعليم المسلمين في الهند في مرحلة جديدة.

المصادروالمراجع:

- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، مقدمة ابن خلدون، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات،بيروت
- أمين، احمد، فجر الإسلام، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، سنة الطبعة غير مذكزرة
- أمين، احمد، ضحى الإسلام، در الكتاب العربي، بيروت، لبنان، سنة الطبعة غير مذكزرة
- الحسني، عبد الحي، الثقافة الإسلامية في الهند، دار عرفات، رائي بريلي، الهند، عام٢٠٠١م
- خفاجي، الدكتور محمد منعم، الأزهر في ألف عام"مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة
- فرشته ، محمد قاسم ، تاريخ فرشته، الترحمة الأردوية لعبد الحي، لاهور، غلام علي ايند اسينس،
- الندوي، محمد واضح رشيد الحسني، حركة التعليم الإسلامي في الهند، المجمع الإسلامي العلمي، لكناؤ،الهند، ٢٠٠٦م

---

١ محمد واضح رشيد الحسني الندوي،" حركة التعليم الإسلامي في الهند وتطور المنهج، المجمع الإسلامي العلمي، لكناؤ،ص ٥٩

٢ الحسني، عبد الحئ ، هندوستان كا نصاب درس اور اس كي تغيرات، مكتبة ندوة العماء، لكناؤ، ص ١٣